

وجاء في القرآن الكريم : « فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحرص المؤمنين ، عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا والله أشد بأسا وأشد تنكيلا » .
وحدث فعلا أن المسلمين فتحوا بلادا غير بلاد العرب ، ولم يفتحوها ولم يكن يتأتى لهم فتحها بغير السلاح .

إلا أن هذه الفتوح تأخرت في الزمن ولم يتم شيء منها قبل استقرار الدولة للإسلام ، فلا يمكن أن يقال إنها كانت هي وسيلة الإسلام للظهور ، وقد ظهر الإسلام قبلها وتمكن في أرضه واجتمعت له جنود تؤمن به وتقدم على الموت في سبيله .

ثم إن هذه الفتوح كانت تفرضها سلامة الدولة إن لم تفرضها الدعوة إلى دينها . .

فلو قدرنا أن الخليفة المسلم لم يكن صاحب دين ينشره ويدعو إليه ، لوجب في ذلك العهد أن يأمن على بلاده من الفوضى التي شاعت في أرض فارس وفي أرض الروم . . ووجب أن يكف الشر الذي يوشك أن ينقض عليه من كليهما ، وأن يمنع عدوى الفساد أن تسرى منها إلى حماه .

هذا إلى أن الإسلام قد أجاز للأمم أن تبقى على دينها مع أداء الجزية والطاعة للحكومة القائمة ، وهو أهون ما يطلبه غالب من مغلوب .

* * *

والحقيقة السادسة ، أن المقابلة بين ما كانت عليه شعوب العالم يومئذ قبل إسلامها وبعد إسلامها تدل على أن جانب الإسلام هو جانب الإقناع لمن أراد الإقناع . .

فقد استقر السلام بين تلك الشعوب ولم يكن له قرار ، وانتظمت بينها العلاقات ولم يكن لها نظام . . واطمأن الناس على أرواحهم وأرزاقهم وأعراضهم ، وكانت جميعها مباحة لكل أغاصب من ذوى الأمر والجاه . .

فإذا قيل أن المدعويين إلى الإسلام لم يقتنعوا بفضله سابقين ، فلا ينفي هذا القول